في عالم الكتب: نقد وتعريف

عبقرية المسيح

تأليف الأستاذ عباس محمود العقاد

للأستاذ نقولا الحداد

من يطالع هذا الكتاب للأستاذ العقاد يظن أن مؤلفه إكليريكي لاهوتي فيلسوف في اللاهوت المسيحي النظري بحث في أساس اللاهوت المسيحي بحثاً شاملاً جامعاً لتاريخ النصرانية وما اكتنفها من النبوات وما سبقها من الحوادث كما وردت أخبارها في الكتاب المقدس (التوراة والإنجيل) وفي بعض الكتب التاريخية وما توالى على اليهودية من عقائد وطوائف وديانات وما صاحبها من معتقدات أمم أخرى واصطدمت بها أو لا مستها

وأنا (أنا خصوصاً) لا أدري لماذا يجب أن يسبق المسيح أو محمداً نبوات تنبه الناس إلى مجيئهما وتؤيد رسالة كل منهما — ألا يكفي أن يظهر عيسى ومحمد في الوجود الإنساني وأن يسلكا السلوك الذي علمناه، وأن تعلن تعاليمهما وتؤيد بأعمالهما حتى نقول هذا مسيح الله وهذا نبي الله؟ أما تكفي حياتهما وتعاليمهما شهادة لهما؟

ولكن هكذا ألف الناس منذ القديم أن تكون حوادث العالم الدينية متعاقبة يرشح بعضها بعضاً حتى لا يكون فيها لبس ولا غش ولا تعمل ولا دعاوٍ باطلة

في كتاب عبقرية المسيح فصول عن الحالة الدينية في العالم والحالة في عصر الميلاد المسيحي. وفي تاريخ الميلاد من الحقائق التاريخية ما لا نراه في الكتاب المقدس لا التوراة ولا الإنجيل. وهناك كثير من الأخبار ما لم يذكر الأستاذ مصادرها أو أسنادها وكنا نود أن لا يغفل هذا الواجب لكي يتأكد القارئ أن المؤلف حقق ودقق بعد أن درس وتعمق. فيكون ذلك أكفل لتقدير قيمة عمله وتنويراً للقارئ المحقق للمراجعة واستزادة من التحقيق والتوسع في المعرفة

ثم استرسل الأستاذ في تفكيره اللاهوتي في فصول: « الصور الوصفية » و « الدعوة » و « اختيار القبلة » و « تجارب الدعوة » و « الشريعة » بحيث تعطي الكتاب القيمة التي تستحق أن تنسب للعقاد وتكون في طبيعة دراساته

ثم توغل في شريعة الحب حتى أراك أن الناموس أو شريعة الناموس تعتبر ناقصة إذا لم تكن شريعة الحب التي هي محور سلوك المسيح وتعاليمه؛ وهي بيت القصيد في حياته كلها « بهذه الشريعة شريعة الحب (والمحبة) نقض المسيح كل حرف من حروف شريعة الأشكال والظواهر

وفي الفصول الأخرى ترى أن العقاد لم يعبأ بالمعجزات ولا بأخبار المسيح في مدة وجوده بين العالم الثلاثين، بل اقتصر على زبدة تعاليم المسيح التي صار بها يسوع الناصري مسيحاً

وقد أحسن الأستاذ صنعاً في إغفال تلك المعجزات التي يظن بعض الناس أنها كانت الوسيلة الوحيدة لانتشار الدين المسيحي. وهذا الظن هو الضلالة التي يكرهها المسيح. والذين طلبوا منه آية من السماء قال: إذا كان إبراهيم ويعقوب

امرأة أو فتاة قتيل لوجود الموصوف المؤنث (امرأة أو فتاة) ولكن ليس من الحكمة والدقة في التعبير في مخاطبة الجمهور أن نلجأ إلى الوصف المشترك (قتيل) فنستعمله في المذكر تارة وفي المؤنث تارة أخرى معتمدين في فهم المراد على المقام ووضوح الكلام لأن العدول عن استعمال المشهور بين الجمهور (قتيلة) إلى استعمال المهجور (قتيل) بمعنى مقتولة يوحي إلى القارئ أن (قتيلة) خطأ أو لغة ضعيفة وليس كذلك لأنها هي الصفة الأصلية المختصة بالإناث، وعلى هذا يقاس نظائرها مثل جريح وجريحة

علي حسن هلالي
بالطبع العربي

وغيرها من الآباء لم يقنعوكم فلا تقنعكم الآيات

والحقيقة أن المسيح لم يأت إلى الأرض لكى يقيم عازر من القبر ، ولا لكى يحول الماء إلى خمر ، ولا لكى يمشى على الماء ، ولا لكى يفتح عيون العميان ، ولا لكى يقيم المقعدين ، ولا ولا ؛ وإنما جاء لكى يقول ثلاث كلمات : أحبوا أعداءكم . باركوا لاعنيكم . أحسنوا إلى من أساء إليكم . من لطمك على خدك الأيمن فحول له الأيسر إلى آخره . وبهذه الكلمات يسير الآن وراءه ألف مليون نسمة على الأرض وإن كان معظم هؤلاء أو جلهم لا يفعلون ما قاله المسيح ولا يفهمون ما يعنيه ؛ فهم ضعيفو الإيمان ومنهم من لا إيمان لهم وإنما هم يفخرون بانتمائهم إلى صاحب هذه الشريعة — شريعة الحب والتسامح وأكثرهم لا يؤمنون بغير الدولار والدينار

وأما قول بعض الناس إن المسيح طلب من الطبيعة البشرية ما لا تستطيعه ؛ لأنك لا تجد واحداً فى الألف يحول لك الخد الأيسر إذا لطمته على الخد الأيمن ، ولا من يحب عدوه ، ولا من يبارك لاعنه ، فإن من الحق أن هذا القول صعب على الطبيعة البشرية ولكنه ليس مستحيلا عليها ، والمسيح نفسه عمل بهذه النظرية التى ظنوا أنها مستحيلة

فقد كان يقول وهم يبصقون عليه ويطعنونه بحربة : « يارب اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون » ولم يثقل هذا على طبعه . وإذا كان كل أحد يفكر أن الساعة تكسر الشر فيعد حين لا مود ترى أحداً ضرب على خده، ولا أحداً يعادى أحد . وفى القرآن الكريم مثل هذا القول : « لا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن ، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم »

فوصية المسيح بالتساهل والتسامح ليست فوق الطبع البشرى بل هى تحت الطبع البشرى وفى وسع كل إنسان أن يطبقها إذا أراد . وإذا كان الناس يتربون على هذه الوصية ويتعودونها يستسهلونها

أعود فأقول إن المسيح لم يأت إلى الأرض لكى يعمل العجائب والخوارق وإنما جاء لكى يعلم الناس التساهل والتسامح والمغفرة ، على نية أن العالم إذا سار كله على هذه السنة صار كله أمة واحدة وشعبا واحداً أو أسرة واحدة تتعاطف ويحب بعضها بعضا وتتقى الشرور من بين أفرادها

المسيح لم يأت لليهود وحدهم بل أتى لكل العالم بهذا المبدأ . وأظنه أول فيلسوف ظهر على الأرض بهذا التعليم . وكان قصده أن العالم كله يعتنقه بدليل أنه جمع تلاميذه وقال لهم : اذهبوا إلى جميع الأمم وتلمذوهم وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به . وها أنا معكم كل الأيام إلى أن ينتهى الدهر . وهو يعنى أن رسالته هذه يجب أن تعم كل الكون لاعتقاده أن تكون الوسيلة الناجعة لانتشار السلام على الأرض

فالمسيح لم يأت لأجل سلام اليهود وسلامتهم فقط بل أتى لأجل سلام كل العالم . وكان قصده أن يكون كل العالم إخوة . هذا ما عناه المسيح حين قال : احبوا أعداءكم ، بدليل أنه لما اجتمع بتلاميذه قال لهم إذهبوا إلى جميع الأمم (لا إلى اليهود فقط) وتلمذوهم الخ . . على أمل أن تتطبع الأمم كلها بطبيعة السلام والمحبة والمسامحة فيسود السلام جميع الأمم

هذه كانت رسالة المسيح على الأرض . ولكن اليهود فى كل تاريخهم كانوا يقاسون من غزوات البابليين والأشوريين والفرس والرومان وغيرهم ؛ فكانوا يتوهمون أن يظهر من بينهم ملك يقودهم للدفاع عن بلادهم ويخلصهم من هؤلاء الأعداء فكانوا يحتاجون إلى منقذ مثل موسى أو يسوع ، فلما وجدوا أن يسوع هذا الذى شرع يعلمهم التعاليم المفيدة لهم اجتماعيا قالوا : لا . لا . ليس

هذا هو الملك الذي ننتظره . ليس هذا هو القائد المنقذ . هذا رجل افاك . وصار الكهنة وجميع رجال الدين يرون أن تعاليمه هـذه تحط من نفوذهم وتكسر شوكة غطرستهم وتزعزع سلطتهم فجعلوا يطلبون رأسه . وما أسهل أن يوغروا صدر بيلاطوس الوالي الروماني عليـه بحجة أنه يدعى أنه ملك اليهود وهم يعترفون بملك أجنبي غير قيصر

ولما مثل المسيح لدى بيلاطوس سأله هذا : — هل أنت ملك اليهود ؟ فأجابه : « أنت قلت ؛ ولكن مملكتي ليست من هـذا العالم » وهو يعنى أنها ليست أجساداً بل هي أرواح تفهم وتعمل في أجساد الحق والعدل والصدق والتقوى

ولطالما كان اليهود يحاولون أن يأخذوا عليه مأخذا ضد الشريعة لكي يشكوه للوالي فجاءوا إليه بزانية وقالوا « هـذه ارتكبت جريمة الزنى ، وفي شريعة موسى ترجم بالحجارة فاذا تقول أنت ؟ »

فما لبث أن قال بكل جرأة : « من كان منكم بلاخطيئة فليرمها بحجر »

وماذا كانت النتيجة : كانت أنهم جعلوا يخرجون من المجتمع واحدا بعد الآخر ولم يوجد بينهم من يجرؤ أن يعترض على حكم المسيح لا لأنه أثر عليهم بتصرفه تأثيرا عجيبا ، بل لأنهم وجدوا أنهم ضعفاء جدا لدى مبينه وحجته فخافوا أن يبطشوا به بل جعلت ضمائرهم تبكتهم بفعل كلته فصاروا يخرجون واحدا واحدا

ثم التفت إلى الزانية وسألها : أين الذين شكوك ؟ أما دانك أحد ؟ قالت : لا . قال ولا أنا أدينك . اذهبي ولا تخطئي بعد . من ذلك الحين تابت مريم المجدلية الزانية وصارت قديسة

كان لمنظره في مثل هذه المواقف سطوة أو صولة أو هيبة ليست لزعيم ولا لقائد ولا لحاكم . فني ذات يوم جاء إلى الهيكل ورأى أدناس الناس فيه : صيارفة وتجار حمام وتجار حيوانات إلى آخره ، فجعل يقلب موائد الصيارفة وأقفاص الحمام وهو يقول : تباً لكم أيها الأشرار جعلتم بيت الله مغارة لصوص. فلم يجسر أحد أن يصده أو أن يقاومه أو أن يشاجره بل جعلوا يخرجون من الهيكل قانعين بالسلامة

لم يشر الأستاذ العقاد إلى كيفية انتهاء حياة المسيح ، ولكنه اقتنع مثلي أن سلوك المسيح الذي أشرنا إليه هو بيت القصيد في حياته . وقد جاء وعلم وعمل ومضى ولا يزال إلى اليوم مثلا للأمم وسيبقى هكذا عدة قرون

وفي ظني أن الإسلام إنما هو استمرار للمسيحية؛ ولذلك كانت حياة محمد وتعاليمه موافقة كل الموافقة لحياة المسيح وتعاليمه — المحبة والتواضع والمسامحة والدعوة إلى السلام . حبذا لو يفهم الناس أن سلامتهم ونجاحهم وسلامهم يتوقف على قدر ما يطيعون من تعاليم هذين المصلحين

نقولا الحداد

وحي الرسالة

في ثـــلاثة أجـــزاء

للاستاذ أحمد حسن الزيات

طبع طبعا أنيقا على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحات كل مجلد خمسمائة صفحة ونيفاً وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمن كل جزء أربعون قرشاً عدا أجرة البريد